

القصدية والمقبولية في خطاب العفو في القرآن الكريم

الباحثة : نور سعيد رحم أ.د. علي حسن عبد الحسين الدلفي

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

Noorsahed19@gmail.com

الملخص

إنَّ جوهر هذا العمل (القصدية والمقبولية في خطاب العفو في القرآن الكريم) هو حلّ الإشكالات والتساؤلات التي أبرزها: كيف يُمكن أنْ توظّف القصدية والمقبولية في النصّ القرآني؟ و هما من المعايير النصّية التي تتحقّق بهما صفة النصّية في موقف التفاعل والاتصال المعتمدة في تحليل النصوص، فمتى تتحقّق بهما نصّية النصّ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات، نلاحظ أنّ من صور القصد أنّ يتمتع النصّ بالسبك والحكّ وهما بهذا المعنى لهما دور كبير في وضوح المقصد من الكلام، وأحد مصاديقه في التنزيل الحكيم هو التأويل الضمنيّ في الكتاب المبين إضافة إلى خروج أساليب الطلب (الأمر، النهي، الدعاء) إلى غير أغراضها الحقيقيّة (مقاصد غير مباشرة) أو مباشرة وتعتمد المقبولية على المتلقّي وموقفه وقبوله النصّ من ناحية ارتباطه بسياق الموقف أو المقام، فراعى القرآن الكريم حال المتلقّي، فلم تُشرع القوانين الإسلاميّة والأخلاقيّة دُفعة واحدة وإنما على دفعات، ومن أكثر ما يعمل به المرسل هو اتباع استراتيجيات معينة لجذب المتلقّي منها: الاستراتيجية التوجيهية، والتضامنية، والإقناع، والحجاج، كما تبين في صفة نصوص العفو، فلكلّ تشكيلة لغويّة في موقف الاتصال قصد، بمراعاة المتكلم وموقفه، وتفهم ذلك القصد من المتلقّي هو القبول.

الكلمات المفتاحية، القصدية والمقبولية، العفو



**Intention and acceptability in the discourse of forgiveness
in the Holy Qur'an**

Researcher: Noor Saeid Rahim"

Prof. Dr. Ali Hassan Al-Delfi

Wasit University \ College of Education for Human Sciences

Noorsahed19@gmail.com

Abstract

The essence of this work (intentionality and acceptability in the discourse of forgiveness in the Holy Qur'an) and its juice solves the problems and questions highlighted by it, how can intentionality and acceptability be employed in the Qur'anic text? They are two of the textual criteria by which the textual character is achieved through interaction and communication in analyzing texts. When is the textuality of the text achieved by them? In order to answer these questions, we note that one of the forms of intent that the text enjoys casting and weaving, and in this sense they have a great role in clarifying the intent of speech, and one of its confirmations in the wise revelation is the implicit interpretation in the clear book in addition to the exit of the request methods (command, prohibition, supplication). to other than its real purposes)indirect purposes(, and depends The acceptability of the recipient, his attitude, and his acceptance of the text in terms of its relation to the context of the situation or station, so the Holy Qur'an took into account the condition of the recipient, so Islamic and moral laws were not legislated at once, but in batches, and one of the most things the sender works with is to follow certain strategies to attract the recipient and the strategic ones, including: Persuasion, and pilgrims, as shown in the elite of the pardon texts, each linguistic formation in the communication situation has an intention, taking into account the speaker and his position, and understanding that intention of the recipient is acceptance.

القصدية: (Intentionality)

لا غنى لأيّ تشكيلة لغوية، يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توفر القصد بأن تكون نصاً، وعن قبولها لهذا الاعتبار (الهام ابو غزالة ١٩٩٢م، علي خليل، ١٥٢) و القصدية في العربية مصدر صناعي من القصد، وعبر عنها بالقصدية بدلاً من القصد حتى تدلّ على المذهبية، لأنّ القصد لا تدلّ على المذهبية (ينظر: حمادة أحمد محمد إسماعيل، ٢٠١٤م، ٢٣). ويتجلى تعريف القصد عند الصحرأوي في "الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، أي مراعاة الغرض من الكلام (٢٠٠٥م، ٢٠٠، ٢٠١). فهو بهذا ناتج عن مراد صاحب الحديث من قوله وحكمته (ينظر: محمد عبد الرضي، ١٩٩٧، ٥ / ٢٦٧).

ويحدّه دي بوجراند (De_Beaugrande) وهو يضمن موقف منشئ النصّ من كون صورة من صور اللغة قُصد بها أن تكون نصّاً يتمتّع بالسبك والالتحام، وأنّ مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها... حيث يظلّ القصد قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام" (١٩٩٨م، ١٠٣). وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتّخذها منتج النصّ في استغلال النصّ من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها (عزة شبل، ٢٠٠٧م، ٢٨).

وإنّ السبك والحبك بهذا المعنى لهما دور كبير في وضوح المقصد من الكلام (حمادة أحمد محمد إسماعيل، ٢٠١٤م، ١١٣). ويمكننا اعتبارهما "هدفين إجرائيين يصعب التوصل إلى أهداف المقال الأخرى، بدونها بيد أنّ مستعملي النصّ يأخذون أنفسهم؛ في العادة؛ بشيء من التساهل إزاء المنتجات التي تفرّض أحوال وقوعها بعض المصاعب؛ في سبيل تحقيق التّضام و التّقارن معا ولاسيما في مجال المحادثات العارضة. أنّ نتاجا هجينا كما في المثال من كولتهارد:

حسنا؛ في أي بلد؛ أين تسكن؟

لن يؤدي إلى إخلال في الاتصال؛ ذلك لأنّه ما يزال نافعا لتحقيق الهدف الأعلى، ونعني به اكتشاف عنوان الشخص المخاطب بالرغم من أنّ الهدف التابع هو الحفاظ على التّضام لم يتحقق على الوجه الأكمل. إما إذا ذهب منتج النصّ إلى تحدي التّضام والتّقارن؛ فإنّ الاتصال سيتضعض وربما انتهى به الأمر إلى وضع الانهيار (الهام ابو غزالة ، علي خليل ، ١٩٩٢م، ٣٠، ٣١).

وفيها قال بوجراند (De_Beaugrande): "هناك مدى متغيّر للتغاضي في مجال القصد، حيث يظلّ القصد قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية

التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التفاضلي عامل من عوامل ضبط النظام" (١٩٩٨م، ١٠٣، ١٠٤).

وأنَّ القصد صيانة القول عن اللغو بجعله يعمل عمله في إفادة المخاطب المعنى المقصود منه، وهو أيضاً إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة... فبذلك لا يتسارع إلى فهم الخطاب فيحتاج المخاطب إلى الدخول في العمل (ينظر: طه عد الرحمن، ٢٠٠٥م، ٢٥١).

وتُعدّ القصدية أحد معايير النَّصّ . التي نادى بها دي بوجراندي وديسلر (De_Beaugrande & Dressler) وترمي إلى الكشف عن معرفة العلاقة بين لفظ المتكلم أو منشئ النَّصّ والمقصد الذي يرمي إليه، وذلك لأنَّ الألفاظ قد لا تتطابق مع المقاصد، بل قد يكون اللفظ مخالفاً للقصد، وقد يعرض للمتكلم ما يلغي قصده إلى القول فتصبح أقواله هدراً لا اعتبار لها (حمادة أحمد محمد إسماعيل، ٢٠١٤م، ٩)

وهناك فرق بين ما يُقال وما يُقصد، فما يُقال هو ما تعنيه الملفوظات والمتواليات بقيمتها اللفظية، وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يُبلّغه المخاطب على نحو غير مباشر اعتماداً على أنَّ المخاطب قادراً على أن يصل إلى قصد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال وحضور طرفي الخطاب وإنَّ لم يتحقّق بالفعل فهو متحقّق بالقول، وإنَّ غاب أحدهما غياباً حسياً أو بصرياً كما في المونولوج والقراءة، فإنَّه يظل حاضراً في وعي الآخرين وتفكيرهم كما لو كان يسمع كلامه بإذن غيره، وكان الغير ينطلق بلسانه (ينظر: علي كاظم المصلاوي وآخر، ٢٠٠٣).

لقد عرّف الباحثون أهمية المقاصد في الخطاب؛ وتمثّل ذلك في شتى العلوم التي تتعلّق بلغة الخطاب، سواء أكان ذلك في القديم أم في الحديث، انطلاقاً من أنَّ المقاصد هي لب العملية التواصلية، لأنَّه لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات ودون وجود قصدية وراء فعل التواصل. وغاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة، ومنها المستوى الدلالي، وكذلك بمعرفته العلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها، وسياقات استعمالها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضع التي يُنتظم إنتاج الخطاب بها. (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ١٨٣).

ويذهب أحد الباحثين في تصنيفه مفهوم القصد إلى دالتين وهما: (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ١٨٣، ١٨٤).

القصد بمفهوم المعنى ، والقصد بمفهوم الإرادة

القصد بمفهوم المعنى:

لا يتجسد القصد إلا باللغة، إذ جعلت عليه دليلاً، لأنَّ الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمُراده وما في نفسه بلفظه، ورتب تلك المقاصد . أحكامها. بواسطة الألفاظ، ولم يُرتب تلك الأحكام على مُجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول ولا على مجرد ألفاظ.

إنَّ البحث في كَيْفِيَّةِ الوقوف على مُراد المُتكلِّم، والخلل الذي يقع في ذلك يتأثر بثلاثة أشياء، وهي: الأول: الألفاظ وما تحتمله من دلالات.

الثاني: المُتكلِّم نفسه: وهو معرفة مدى صدق المُتكلِّم ورغبته في توصيل مراده إلى المخاطب.
الثالث: المُتلقِّي: إنَّ قدرات المُتلقِّين على فهم مراد المُتكلِّم من كلامه تختلف اختلافاً كبيراً وهذا يرجع إلى أمرين، الأول: التفاوت في الأذهان، والثاني: التفاوت في تحصيل الوسائل التي تُعين على معرفة مراد المُتكلِّم (أحمد محمد إسماعيل، ٢٠١٤م، ١٠٨)، والمعنى قد يكون صريحاً، أو غير صريح كالكناية والمجاز .

القصد بمعنى الإرادة:

إنَّ القصد بمعنى الإرادة ذات فاعلية في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط ، وذلك مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصدّاق، فعندما ينوي المتزوج أن يدفع الصّدّاق إلى المرأة فإنّه يأخذ بذلك حكم الزوج، أمّا عند ورود النية بعدم الوفاء فإنّه يتّصف بحكمٍ آخر، وكذلك من استدان الدّين ولم ينو الوفاء به، فإنّه يعتبر سارقاً (يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ١٨٩).

وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ قصد المرسل بوصفه أُرادته ليؤثر في خطابه بدرجة أقوى خاصّة إنجاز الفعل اللّغوي؛ لاعتماده على توفر الإرادة من عدمها، وكذلك في ترتيب الخطاب للتدليل عليه.

ومن ذلك قوله الله (جلّ وعلا): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: ٤٣]

هذا خطاب للمؤمنين القصد الظاهر منه هو حكم الرُّخصة (التَّيَمُّم) إذ عفا (جلّ جلاله) عن المسلمين، فلم يُكلِّفهم الغسل أو الوضوء عند المرض، ولا ترقّب وجود الماء عند عدمه، حتى تكثُر

عليهم الصلوات فيعسر عليهم القضاء. (ابن عاشور، ١٩٧٩م، ٥ / ٧١)، أما القصد الباطنيّ هو أنّ التيمم لا يجوز لغير المذكورين. ولا يجوز مع وجود الماء، ويدلّ النصّ على وجوب أداء الصلاة وتجنّب الأمور المذكورة، فالصلاة عمود الدّين، وهي أساس قبول الأعمال، لذا يجب المحافظة عليها لما فيها من طهارة رُوحية، وبها يدخل المسلم الجنة، إضافة إلى أنّها تقوية ورياضة للجسم، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"، (صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الإيمان: ٢ / ٧١) وهي العبادة الوحيدة التي لم يعذر الله أحد في تركها سواء كان صحيحاً أو مريضاً، أو كان مسافراً أو مقيماً، أو في حالة حرب أو سلم (ينظر: عبد الحكيم مقبول مسفر التثبيتي، ١٩٩٦م، ٥٨).

وآداب النظافة والطهارة، ففي الطهارة مَحَبَّة الله فالله يُحِبُّ المتطهرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وعلو مكانة المسلم بنظافته الداخليّة والخارجيّة، فالمسلم يتميّز بطهارته، ومفتاح صلواته الطهارة.

حتّى تعلموا ما تقولون القصد أنّهم لا يعلمون ما يقولون فنهاهم الله عن الصلاة وهم على هذه الحالة، والقصد من حتّى تغتسلوا، أي يجب الاغتسال في حالة الجنابة غير عابري السبيل المستثنى منه في هذا الخطاب، والله أعلم

فالنصّ في غاية الاتساق فالواو في (لا تقربوا و تعلموا، تجدوا، فتيّموا، فامسحوا)، والتاء في (كنتم) إحالة على الذين آمنوا، والنصّ مُنسجم. والسكر قصدان: الأول ظاهري شرب الخمر (ينظر: الطبري، ٢٠٠١م، ٥ / ٤٧، ٤٨) أو النوم (العلامة سيد محمد حسين الطباطبائي، ١٩٧٩، ٤ / ٣٧٠)، والآخر ضمنيّ يراد منه التوجه والخشوع لله تعالى؛ لأنكم في حال الصلاة تُواجهون مقام العظمة والكبرياء وتخاطبون رب العالمين فيها (ينظر: العلامة سيد محمد حسين الطباطبائي، ١٩٧٩، ٤ / ٣٦٨). يقول الصحراويّ: لكن ما ينبغي ألا يخفى على أي دارس أنّ الأصل الاسلوبيّ للأنواع الثلاثة الأولى (الأمر. الدعاء. الالتماس) وهو أسلوب الأمر وصيغته اللغويّة المعروفة، أمّا الدعاء والالتماس وغيرها فهي أعراض تواصلية خطابية تؤدي بصيغة الأمر أو بصيغة النهي على مقتضى خروج الأسلوب على مقتضى الظاهر، وبحسب معايير ج. سيرل (Searle) فإنّ المعيار المطبق، في خروج الأمر إلى الدعاء والالتماس، وهو معيار الشروط المعدّة وقد أوضحها سيرل (Searle) بمثال الطلب من عسكري برتبة عميد إلى جندي بتنظيف الغرفة، والذي لن يكون إلاّ أمراً؛ أمّا نفس الطلب من الجندي البسيط إلى العميد فهو قطعاً لن يكون أمراً؛ بل القصد هو طلب أو اقتراح أو رجاء (مسعود الصحراوي، ٢٠٠٥م، ١٠٧).

وهذا ما نجده في الخطاب القرآني فهو طلب من العبد إلى الله (جلّ جلاله) فمن الطبيعي أن يكون فيه رجاء ودعاء بحكم المرتبة ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٨٦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

فهو ذا ينطلق من قلوبهم دعاء خافق واجف، يذكره النصّ القرآني بطريقة القرآن التصويرية، فكأنما نحن أمام مشهد الدعاء أو صفوف المؤمنين قائمة تردده في خشوع ؛ عقب وإعلان حقيقة التكاليف وحقيقة الجزاء (سيد قطب، ١٩٦٨م، ٣/ ٣٤٥)

فبدأ الطلب بصيغة النهي التي معناه الدعاء قصد غير مباشر لا تؤاخذنا بما نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، فالضمير (نا) يستعمل في السياقات التي تُؤطرها العاطفة (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٣٠٠) ، وهو دعاء يشي بحقيقة الاستسلام، فالمؤمنون لا ينوون نكولاً عن تكليف الله أيّ كان، ولكنهم فقط يتوجهون إليه راجين متطلّعين أن يرحم ضعفهم فلا يكلفهم ما لا يطيقون، كي لا يعجزوا عنه ويقصّروا فيه، وإلاّ نهى الطاعة المطلقة التسليم، إنّه طمع الصغير في رحمة الكبير، ورجاء العبد الضعيف في سماحة المالك المتصرّف، ثمّ الاعتراف بالضعف بعد ذلك التوجّس من التقصير، الذي لا يحو آثاره إلا فضل الله العفو الغفور (سيد قطب، ١٩٦٨م، ٣/ ٣٤٦)، وأعف عنا وأغفر لنا و أرحمنا أفعال طلب بصيغة الأمر معناها الدعاء، فالعفو محو أثر الشيء، والمغفرة ستره والرحمة معروفة.

فقد دلّ على انجازه فعلاً لغويّاً هو فعل الدعاء، فقد نتج عن فهم القصد بالذي طابق دلالة الوضع اللغويّ اكمال دورة الاتصال بين طرفي الخطاب (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٢١٣)، فالإنسان لا يستطيع الاستغناء عن ربّه طرفه عين، ففي الدعاء انشراح الصدر، و إزالة الهموم والأحزان، وبالذعاء أيضاً النصّر على الأعداء، وهو أرفع أسلحة المؤمن التي يواجه بها الأعداء فهو سلاح النصّر.

المقبولية : (Acceptability)

المسؤولية الأولى للمخاطبة هي تقبل المتلقّي لخطابه، لأنّه" لولا المخاطب ما أحتج إلى التعبير عمّا في نفس المتكلم (السهيلى، ١٩٩٢م، ١٧٠) ومعنى ذلك أنّه ليس هناك خطاب أحادي الجانب موجه إلى ذاته، ينمو في انسجام الطمأنينة، إنّما لا بُدّ من وجود جانب آخر (محمّد مفتاح، ٢٠١٠م، ٤١، ٤٢).

وهي إحدى المعايير التي اشترطها دي بوجراندي (De_Baugrande) للنصّ، ويتضمّن موقف مستقبل النصّ إزاء كون صورة ما من صور اللّغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ ذي سبك والتحام، وللقبول مدى من التفاضل في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج" (روبرت دي بوجراندي، ١٩٩٨م، ١٠٤)، ومن هنا يبرز الدور الذي يضطلع به معيار التماسك والانسجام في عملية بناء النصّ بما يكفل تحقيق استمرارية المعنى، وتنظيم المعلومات بداخله، ولهذا السبب كان مستوى المقبولية في النصّ يزيد و ينقص تبعاً لمدى تحقّق التماسك والانسجام في النصّ، لأنّهما يساعدان القارئ على متابعة ترابط النصّ، ويسهمان في سدّ الفجوات اللغوية التي تظهر للمتلقّي في النصّ... ولهذا السبب كان النصّ متماسكاً منسجماً زادت حظوظه في التأثير على المتلقّي وقويت نسبة التقبليّة فيه (د. مليود مصطفى، ٢٠١٥م، ٥٦٢)

"والمقبولية بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب (د. عزة شبل، ٢٠٠٧م، ٣٤) أي رغبة لكشف غاياته والتفاعل مع مضمونه، أو رغبة المتلقّين في معرفة وصياغة مفاهيم مشتركة، وبذلك يمثل المتلقّي جانباً مهماً من جوانب الإنتاج التي تتكون من (المنتج والنصّ والمتلقّي) (د. عزة شبل، ٢٠٠٧م، ٣٤).

لذا فالمقبولية هي أمر يتعلّق بموقف المتلقّي من قبول النصّ أو رفضه، فالمستقبل هو الحكم الذي يقرّ بأنّ المنطوقات اللغوية تكون نصّاً متماسكاً مقبولاً (د. مليود مصطفى، ٢٠١٥م، ٥٦٢). وإنّ كانت النصوص اللغوية عالية المستوى، التي تكمن قيمة البلاغة فيها بالكشف عن المعاني الإضافية الكامنة وراء الصياغات اللغوية، فالنصّ القرآنيّ ليس محدداً بعصر نزوله فقط، وإنّما الغاية المرجوة منه هي إيصال الأفكار المبتوثة فيه إلى يوم القيامة، ابتداء من العقيدة الدينية، وامتداداً إلى جميع جوانب الحياة الإنسانية اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، وعلمياً؛ فلم يكن النصّ القرآنيّ لقريش، والعرب في زمن النبي (ﷺ)، بل كان نصّاً عالمياً مكانياً، وسرمدياً زمانياً (ينظر: د. سعاد كريدّي كنداوي، علي حسين حمادي، ٩، ١٠).

كان لظهور الإسلام السبب في أحداث التحوّل الكبير في الحياة العربيّة، فقد أحدث ظهوره تحوّلاً على مستوى اللّغة، والوعي للعلاقة الوثيقة، والاتحاد بينهما، سواء أكان وعي الذات، أو وعي الآخر/الكون، وما فيه من الموجودات. فأصبح العربيّ يستمع إلى القرآن بعد أن كان مشدوداً إلى الشعر، أصبح يصغي إلى القرآن، وارتفع شأن اللّغة بالقرآن، وعلت به. فانشغل الناس بصورة عامّة، وأصحاب الميول الأدبية خاصّة بتلقّي النصّ القرآنيّ، وتفسير آياته، وتحليل مفرداته وجمله. وظهرت

لأول مرة في تاريخ الفكر العربيّ ظاهرة ثقافيّة، وهي ما أُطلق عليها في العصر الحديث اسم التلقّي/ المقبوليّة. وإذ كانت المقبوليّة قبل الإسلام تأخذ منحى آخر غير المنحى القرآنيّ؛ وذلك لأنّها مع النّصّ القرآنيّ محاولة لفهم، والتأويل، والتفسير، وبيان اللّمسة البيانيّة (د. سعاد كريديّ كنداويّ، علي حسين حمادي، ٩).

فالقرآن الكريم كان مقبولاً تأليفاً حتّى من غير المؤمن، فالكفار قَبِلوا القرآن الكريم كنصّ يتمتع بالسبك، والانسجام، وأنّه في أعلى درجات البلاغة، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا بالمضمون الذي جاء به.

وقد أثبت البيان القرآنيّ جدارته بصفة الرّبط بين المتلقّي والنّصّ بوشائج متينة، وهذا الاستحقاق يكمن في ديمومة ربط المرء بالواقع، الواقع النفسيّ في القدرة على إثارته على مرّ العصور فتنبش مكونات أساسيّة في السلوك البشريّ، وهنا مخاطبة الخالق لِمَا خلق، وكذلك الواقع المحسوس في تصوير جزئياته في الطبيعة الصامتة، والمُتحركة، والمشاهد المألوفة، وتقريب ما هو ليس بمألوف بإثارة الحواس، والبصيرة، واستدامة صورته الفنيّة هي نتيجة ثبات الحواس، وتأكيد على ربط الصورة بالحواس، وهكذا لم يرفض الواقع، بل نهض به، ولوّنه " (د. نور الدين عتر، ١٩٩٩م، ٢٩، ٣٠) " فجاءت نظريّة التلقّي لتُنفّذ النّظر إلى النّصّ والقارئ على اعتبار علاقة التفاعل الحاصلة بينهما. (عبد الله بو سيف، ٢٠١١، ٢٠١٢م، ٢١). " وكان من أبرز معطياتها أنّ كلّاً من المعنى والمبنى ينتجان عن تفاعل النّصّ مع القارئ، فالقارئ . إلى حد ما. هو المبدع المشارك، لا للنصّ نفسه، بل لمعناه وأهميته وقيمته... وعلى هذا فإنّ الأدوار في استراتيجيّة التّكفيك هو دور القارئ وليس المؤلف فسير عملية الانتاج والتلقّي في اتجاه واحد أصبح غير منطقيّ، إذ أنّ لغة الحوار بين الأطراف الثلاثة . النّصّ والمنتج والمتلقّي . أصبحت هي السّمة الغالبة في ضوء أنّ القارئ هو الذي يحكم على النّصّ، ويستخرج معناه، ويحكم على تماسكه، وهذا يعني أنّ القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع؛ لأنّ النّصّ لم يُكتب إلّا من أجله (عزة شبل، ٢٠٠٧م، ٣٥).

وقد يلجأ المرسل في تخاطبه مع المرسل إليه إلى اعتماد استراتيجيات تُحقّق عملية المخاطب بينهما، كما تُحقّق أهداف العمليّة التخاطبيّة، وتختلف أهداف التخاطب باختلاف الاستراتيجيّة المُتبعة أو المُستعملة في الخطاب، فقد يكون الهدف منها إقامة علاقة مع المرسل إليه، فيعتمد بذلك على استراتيجية تُحقّق لها هذا الهدف (دليلة قسيمة، ٢٠٠١ - ٢٠١٢م، ٨٠)، والخطاب في الاستراتيجية التوجيهيّة يعدّ ضغطاً وتدخلاً بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه إلى فعل مستقبليّ (عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، ٢٠٠٤م، ٣٣٢).

ولا يعدّ التوجيه فعلاً لغوياً فحسب، ولكنه يُعدّ وظيفة من وظائف اللّغة، التي تُعنى بالعلاقات الشخصية حسب تطبيق هاليداي (Halliday)، إذ أنّ " اللّغة تعمل على أنّها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجّهات المرسل إليه وسلوكه"، إذ يسمي وظيفة التوجيه في اللّغة بالوظيفة الإيعازيّة أو الندائيّة. وكذلك يوضح (روبول) بأنّه يُمكن أن نتحدث لنجعل شخصاً آخر يتصرف كما في حالة الأمر أو التّصيحة أو الرجاء أو الرفض أو المنع (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٣٣٤).

ففي قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَنُوبٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]

ابتدأ خطابه ب (سارعوا) معنى بادروا وسابقوا (الطبري، ٢٠٠١م، ٦ / ٢٥)، والمسارة "الاشتداد في السرعة وهي ممدوحة في الخيرات، منومة في الشرور (يُنظر: الرازي، ١٩٨١م، ٩ / ٥). جعل بعض العلماء المتقدمين الأمر قسماً مستقلاً من أقسام الكلام، كما صنّفه كثير من المحدثين على أنّه جزء من الأفعال التوجيهيّة، ومنهم (سيرل وباخ وبراون وينفسون) (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٣٤٠).

كما أنّ وجهة المنفعة هي من العناصر التي تمنح التوجيه حكماً معيناً، بناء عليه فقد يستعمل المرسل الاستراتيجية التوجيهيّة لغير الأمر، فلتوجيه وجوه كثيرة منها (معاني متقاربة) ما يُسمى بالتأنيب والإرشاد والندب وغيرها، فالتأنيب توجيه إلى ما يهذب الأخلاق ويصلح العادات والإرشاد توجيه إلى ما فيه مصلحة دنيويّة، والندب هو توجيه إلى ما يرجى ثواب الآخرة (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٣٤٣).

ففي فعل الأمر التوجيهي (سارعوا) توجيه إلى هذه المعاني فالأثر المتحقق دنيوي قبل أن يكون أخروياً، فالله (جلّ جلاله) يوجه إلى تهذيب الأخلاق بكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وكذلك الإحسان لهم، و إلى ما يغتمه الإنسان لو كانت هذه صفاته فالجنة مأواه.

كما أنّ في الخطاب استراتيجية أخرى، هي استراتيجية الأفعال، "فاقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٤٤٦)، ويتنامى الخطاب فيها بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج" (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٤٤٦)، فالحجاج شرط في ذلك، لأنّ شرط التداول اللغوي شرط الإقناعيّة، فالمرسل عندما يطالب

غيره بمشاركة اعتقاداته، فإنَّ مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تدرج عللا منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوّعة تجرّ الغير جرّاً إلى الإقناع براي المحاور، وقد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذ ذاك اقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الاستيفاء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنها يراها رأى العين" (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٤٤٦).

ف قوله تعالى (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض) فهو إقناع بالحجاج، وتعددت تعريفات الحجاج منها ما عرّفه الدكتور طه عبد الرحمن، بأنّه كلّ منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ لها الاعتراض عليه ويرى الدكتور الظهري أنّ هذا التعريف ليس سوى الجانب الشكلي، ويرى أنّ التعريف الأكثر شمولاً هو تعريف بيرلمان وزميله، إذ يجمع بين شكل الحجاج والغاية منه فهما يدعيان أنّ إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل إليه أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كلّ حجاج، فأنجح حجة هي تلك التي تتجح في تقوية حدة الإذعان عندما يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو على الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقّق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم العمل في اللحظة الملائمة، للتأثير في المتلقّي وحثّه على تلك الأمور) (يُنظر: عبد الهادي الشهري، ٢٠٠٤م، ٤٥٧). فافترن الإقناع بالإمتاع المسارعة في المغفرة بالإمتاع بوصف الجنة (حجاج بالوصف) التي عرّضها السماوات والارض، والعرض بمعنى السّعة، وهو استعمال شائع كناية عن بلوغها السّعة غايتها أو ما لا يحدها الوهم البشري (يُنظر: العلامّة سيد محمد حسين الطباطبائي، ١٩٧٩م، ٤ / ١٧)، ويطلع على الاتساع لأنّ الشيء العريض هو الواسع في العُرف بخلاف الطويل غير العريض فهو ضيق (يُنظر: ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٤ / ٩١)، أعدت للمتقين.

إبداع السلطة، "فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه" (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٤٤٦)، فكيف سلطة الله (جلّ وعلا) لا يجبر عباده على شيء، "فهي ترغيب المؤمنين على المسارعة إلى الخير وهي الأنفاق في سبيل الله في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس، ويجمعها بتّ من الإحسان والخير في المجتمع والصبر على تحمل الأذى والسوء والصفح عن الإساءة قبالة الإساءة، فهذه الطريقة الوحيدة التي يحفظ بها حياة المجتمع، ويشدّ بها عظمه فيقوم على قدمٍ وساق. ويرغبهم (جلّ جلاله) في أن لا ينقطعوا عن ربّهم بتواضع الذنوب والمعاصي، فإنّ أتوا بما لا يرضاه لهم ربّهم تداركوه بالتوبة والرجوع إليه ثانياً وثالثاً من غير أن يكسلوا أو يتوانوا (العلامّة سيد محمد حسين الطباطبائي، ١٩٧٩م، ٤ / ١٦)،

فعلى سبيل التمثيل لا التشبيه، نرى أصحاب المحلات يُعلنون عن بضاعتهم بقولهم سارعوا الكمية محدودة، ووصفها بالنوع الجيد لجذب المتبضعين لها، أي انفروا للعرض. ويعتمد المرسل إلى استباق المرسل إليه بالجواب عن اسئلته المُتوقّعة، كما في قوله (والذين فعلوا فاحشة) الفاحشة ذنب، وظلموا أنفسهم ذنب، فأما الفاحشة صفة لمتروك، ويعني بالفاحشة الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحدّ والمقدار في كلّ شيء، الفاحشة هنا الزنا على ما دلّ عليه سياق الحال وسبب نزول الآيات، ذكروا الله وعيد الله على ما أتوا من معصيته إياه (يُنظر: الطبري، ٢٠٠١م، ٦٠)، و لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب، ولم يقيموا عليه ولكنهم تابوا واستغفروا. واستئناف للتوبة بسداد عملهم، من الاستغفار وقبول الله منه، واسم الإشارة (ولئك) لإفادة أنّ المشار إليهم صاروا أحرىء بالحكم الوارد بعد اسم الإشارة لأجل تلك الأوصاف التي استوجبوا الإشارة لأجلها. وهذا الجزاء هو المغفرة والعفو وعد من الله تعالى، تفضلاً منه: إذ جعل الإقلاع عن المعاصي سبباً في غفران ما سلف منها، وأما الجنات فأئماً خلصت لهم لأجل المغفرة، ولو أخذوا بسالف ذنوبهم لما استحقوا الجنات فالكلّ فضل منه تعالى (يُنظر: ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٩٥ / ٤).

سؤال أين المقبولية أو القبول؟ الجواب هو التأثير بالقول والاعتناع به والعمل به منذ نزول هذا الخطاب إلى يومنا هذا وما بعده، وإلى آخر الزمان.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، إعداد دليلة قسيمة، إشراف: د. محمد بو عامرة، (رسالة ماجستير)، ٢٠١١-٢٠١٢م.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، ١، ٢٠٠٤م.
- استقبال النص عند العرب، محمد المبارك المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ساقية الجوز، بناية برج الكارلتون، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١، ١٩٩٩م.
- البعد التطهيري الاتصالي في شعر محمود درويش (ديوان لا تعتذر عما فعلت) أنموذجاً، إعداد: عبد الله بو سيف، إشراف: عبد المجيد دقياني، (رسالة ماجستير)، ٢٠١١-٢٠١٢م.
- التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية نظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار)، محمد عبد الرضي (ت ١٣٤٥هـ)، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٢٢٤. ٣١٠)، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط١، القاهرة ١٤٢٢، ٢٠٠١م
- جمالية المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، إشراف وتقديم د. نور الدين عتر، دار المكتبي، سوريا - دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الدلالات التربوية المستنبطة من آيات العفو: إعداد: عبد الحكيم مقبول مسفر الشيبتي، إشراف الدكتور: خالد سالم الحربي، (رسالة ماجستير) ١٩٩٦-١٤١٧.
- دينامية النص (تنظير وإيجاز)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي والعربي، دار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠١٠م.
- صحيح مسلم بشرح النوري، موافق المعاجم المفهرس لألفاظ الحديث، مؤسسة قرطبة، د. ط، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل، محمد، كلية الآداب - جامعة القاهرة، تقديم: أ. د. سليمان العطار، مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، طبعة جديدة ومشروعة، ١٩٦٨.
- القصدية التواصلية في دعاء عرفة للإمام السجاد (عليه السلام)، علي كاظم محمد علي المصلاوي، عمار حسن الخزاغي، جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الإنسانية.

- قصيدة الشاعر وقبول المُنتقى، في قصيدة أنا والبدر للشاعر الليبي رجب الماجري، د.مليود مصطفى عاشور، أياذ عبد الله، المؤتمر العلمي الخامس للغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، الجزء ٢، ط٢، ١٤٣٧هـ_٢٠١٥م.
- القصدية في التراث الأصولي في ضوء علم اللغة النَّصي، حمادة أحمد محمد إسماعيل، القاهرة، دار الأفاق العربية، ط١، ١٤٣٥هـ_٢٠١٤م.
- اللسان والميزان و التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.
- مفاتيح الغيب أوالتفسير الكبير ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، (٥٤٤هـ، ٦٠٤هـ)، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ_١٩٨١م.
- المقبولية في الخطاب القرآني السور المدنية أنموذجا، د. سعاد كريدي كنداوي، علي حسين حمادي، كلية الآداب، جامعة القادسية.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرفه على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت _ لبنان، ط١ ١٤١٧هـ_١٩٧٩م
- نتائج الفكر في النحو: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.
- النَّص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب القاهرة. ط١، ١٤١٨هـ_١٩٩٨م.